أسلم بهذا قط وإنى لأتمثل فى ذهنى فكرة مهوشة عن طريقة أخرى

ثم استمعت إلى رجل كان عنده كتاب أنا كسجوراس ، كما قال ، وطالع فيه أن العقل هو المصرِّف والعلة لكل شىء ، ولشد ما اغتبطت لذكر هذا الذى كان باعثاً على الاعجاب . وقلت لنفسى : إذا كان العقل هو المسيِّر فانه سيسير بكل شىء إلى الصورة المثلى ، ويضع كل شىء أحسن موضع ، وزعمتُ أن من يرغب من الناس فى استكشاف علة تولد أى شىء أو زواله أو وجوده ، فعليه أن يرى كيف تكون الصورة المثلى لذلك الشىء من حيث وجوده وسعيه وعمله ، لذلك كان لزاماً على المرء ألا يضع نصب عينه إلا الحالة المثلى بالنسبة إلى نفسه وإلى الناس ، ثم عليه بعد ذلك أن يعلم الأسوأ أيضاً ، فالأمثل والأسوأ يحويهما علم واحد . وسرنى ما ظننت أنى واجد فى أنا كسجوراس من يعلمنى ما وددت أن أعلم من أسباب الوجود ، وخيل إلى أنه منبئى أول الأمر عن الأرض أمسطحة هى أم كرية ، وأنه باسط لى بعد ذلك علة هذا وضرورته ، وأنه معلمى طبيعة الأمثل ومظهرى على أن الأمثل إنما هو هذا [1] ، فان زعم أن الأرض قائمة فى المركز شرح كيف أن هذا هو الوضع الأمثل ، وكنت سأقتنع به لو بين لى ذلك ، وما كنت لأقتضيه غير ذلك سبباً ، وحسبت أنى قد ألتمسه بعد ذلك فأسائله عن الشمس والقمر والنجوم ، فيشرح لى سرعتها المقارنة ، ونكوسها ومختلف حالاتها ، وكيف أنها تتجه بميولها المتعددة ، القابلة منها والفاعلة نحو الأمثل دائماً ، وما كنت أتصور أنه إذا ما تحدث عن العقل باعتباره مصرِّفاً لها ، يعلِّل وجودها على هيئتها الراهنة بغير علة أن هذه هى الصورة المثلى ، وظننت أنه بعد أن يفرغ من الشرح المفصَّل لعلة كلٍّ منها وعلتها جميعاً ، سيمضى يبين لى الحالة المثلى لكل منها ولها جميعاً . لقد تناولت الكتب متلهفاً لأعلم أمر الأمثل والأسوأ ، فتلوتها مسرعاً ما استطعت إلى السرعة سبيلا ، وقد رجوت آمالاً لم أكن لأبيعها بكثير

(يتبع) زكى نجيب محمود

(١) أى أنه اعتقد أنه سيجد فى نظرية أنا كسجوراس البراهين الكافية على أن الكون فى صورة مثلى ، فسقراط لا يطلب تعليلا لظواهر الكون انمو اعتقد بحق انها فى أوضاع مثالية ، فتلك عنده غاية تكفى وحدها أن تكون هدفا أقصى

فى الأدب الفرنسى المعاصر

رومان رولان

Romain Rolland

بقلم على كامل

تتمـــة

فى (النهار الجديد) La Nouvelle Journée (١٩١٢) وهو آخر جزء من قصة (جان كرستوف) كتب رومان رولان يقول : (إن أوربا الآن توحى للناظر كأنها فى ليلة حرب) . كتب ذلك قبل أن تعلن الحرب بعامين . وعندما اندلعت الشرارة الأولى عام ١٩١٤ كان رومان رولان فى سويسرا . فكان بعده عن وطنه مساعداً له على أن يكون حر الرأى بعيداً عن التأثر بضروب الدعاية المختلفة التى كان يصيح بها ساسة الدول المتحاربة ــ ومنها فرنسا ــ تبريراً للحرب وحثاً للناس على خوض غمار القتال (كانقاذ المدنية) أو (الحرب من أجل السلام الخالد) إلى غير ذلك من الأقوال

ومنذ التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٩١٤ شرع رومان رولان يكتب سلسلة مقالات فى (جريدة جنيف) Journal de Jenéve بدأها بخطاب مفتوح إلى الكاتب الألمانى هوپتمان Hauptmann مستنكراً الوحشية الألمانية التى أحرقت بلدة (لوفان) البلجيكية . وقال فيه : (كثير منكم أن يبدو ذلك العنف الذى تعاملون به هذه الأمة الكبيرة النفس ــ يقصد بلجيكا ــ التى لا ذنب لها إلا الاستماتة فى الدفاع عن استقلالها وعن الحق كما فعلتم أنتم الألمان عام ١٨١٣ . . . ! احتفظوا بهذه القسوة لنا نحن الفرنسيين أعداءكم الحقيقيين . أما أن تتحمسوا ضد ضحاياكم ، ضد ذلك الشعب البلجيكى الصغير السيء الحظ البرىء . فيا له من عار !) ثم يقول : (ولم تكتفوا بأن تأخذوا البلجيك الحية ، فأعلنتم الحرب على الأموات ، على مجد القرون ، فأمطرتم (مالين) بالقنابل وأحرقتم (روبان) ، وأصبحت لوفان تلاً من الرماد ، لوفان بكنوزها الفنية وعلمها ، لوفان المدينة المقدسة ... هل تحاربون الجيوش أم الفكر الانسانى ؟ اقتلوا الرجال لكن احترموا الأعمال الفنية ، إنها تركة الجنس البشرى الذى أنتم منه

والذى نحن جميعاً الأمناء عليه . إنكم حين تحطمونه كما تفعلون لآن تثبتون أنكم غير جديرين بذلك التراث العظيم)[1]

وفى مقالته الثالثة (فوق المركة) Au-dessus de la mêlée التى أطلق عنوانها على مجموعة المقالات حين جمعها فيما بعد ، نسمع رومان رولان يوجه اللوم الشديد إلى قادة الرأى العام والرؤساء الدينيين والمفكرين والخطباء الاشتراكيين قائلاً : (بين أيديكم ثروات حية ، كنوز من البطولة ، فماذا فعلتم بها ؟ لقد وجهتموها إلى الصراع والموت !) ثم تراه يظهر استنكاره المرير من أن تنتقل شهوة رجال السياسة إلى رجال الفكر فتتولد بينهم العداوة (فيصبح أوكين ضد برجسون ، وهوبتمان ضد مترلنك ، ورولان ضد هوبتمان ، وولزضد برناردشو . كما يتغنى كبلنج ودانونزيو ودو رينييه وبارس ومترلنك بأغانى الحرب والقتال . بينما يطلب الفيلسوف الشيخ فندت ـ الذى بلغ من العمر الثانية والثمانين ـ بصوته المحطم من طلبة جامعة ليبزج الاشتراك فى « الحرب المقدسة »)

وفى هـذا المقال أيضاً صرح رولان أن أعظم هيئتين خانتا مهمتهما وظهرتا بمظهر الضعف أثناء الحرب هما (أولاً) المسيحية : أى السلطة الدينية (وثانياً) الاشتراكية . إذ أن كلا من هاتين الهيئتين من أول مبادئهما الدعوة إلى السلام العالمى والأخاء بين الشعوب . لهذا كان تأييدها للحرب وقبولها دخول سميرها انكارا لا يليق لمبادئهما السامية . (فهؤلاء الاشتراكيون الذين لم يجدوا فى نفوسهم الشجاعة على الموت فى سبيل عقيدتهم قد وجدوها للموت فى سبيل عقيدة الآخرين)[2]

وعند ما يتكلم عن الباعث الحقيقى على الحرب يقول : (إن العدو الالد ليس خارج حدود الوطن بل هو رابض داخل كل أمة . وليس هناك أمة واحدة تملك الشجاعة لمحاربته . إنه ذلك الشبح ذو المائة رأس الذى يسمى التوسع الاستعمارى . تلك الارادة فى الكبرياء والتسيطر التى تريد أن تمتص كل شىء فاما الخضوع لها وإما الهدم . تلك الارادة التى لا تحتمل مطلقاً أى عظمة ونمو خارج دائرتها)

وبعد أسبوع من معركة المارن أعلن رومان رولان فكرته العالمية (ووجوب إقامة المدينة الواسعة الممتدة الأطراف التى تزال منها المظالم وأحقاد الأمم وتجتمع فيها النفوس المتآخية الحرة فى العالم أجمع) على أنه لم يكن يطلب تحقيق ذلك عن طريق العنف فهو ألد أعدائه . بل يترك للزمن تحقيقه على مهل حين تسمو النفوس عن الصغائر وتتجرد العقول مما تتعلق به من الأوهام

* * *

لقد رأينا كيف أن رومان رولان فى مقالاته كان متجرداً من كل خضوع لفكرة وطنية ، أو التأثر بتيار الحماسة الذى كان يجرف أمته كما يجرف كل الأمم المتحاربة . ولذا لم يتردد ـ كما رأينا ـ فى السخرية من كل رجال الفكر والدين ، لأنهم خانوا مبادئهم النبيلة فى الوقت الذى كان يمكنهم فيه تأدية أكبر جانب من مهمتهم فى الحياة . كما أنه لم يتردد فى إظهار ألمه من تردى العلم فى حمأة الأغراض ، حين يدعى الأستاذ بيربيه مدير المتحف وعضو أكاديمية العلوم فى باريس أن البروسيين لا ينتمون الى الجنس الآرى . كذلك كان من الأسباب التى زادت عدد مهاجميه احتفاظه بعد أن أعلنت الحرب بصداقة من كان يعرفهم من الكتاب الألمان (إذ ليس حبى لوطنى ـ كما قال ـ معناه أن أكره أناساً مخلصين يحبون هم كذلك أوطانهم)

كل هـذه الأسباب الى جانب التهم التى وجهت اليه قبل الحرب عن طعنه فى العبقرية الفرنسية جعلت عدداً من جرائد بلاده تنشر مقتطفات محرّفة من مقالاته لتثير عليه الرأى العام . ولقد استطاعت بلوغ ذلك الى حد كبير . فكان جواب رومان رولان على هـذا أن نشر مقالاته فى كتاب مستقل فى سبتمبر عام ١٩١٥ ، حتى يطلّع الشعبُ الفرنسى بنفسه على حقيقة ما كتب ليعرف مقدار اتهامات أعدائه من الحق أو الضلال . وقد قال فى مقدمة كتابه ما يأتى : (إذا باغتت الحرب شعباً عظيماً فانه ليس عليه فقط أن يدافع عن حدوده ، بل أمامه عقله أيضاً يجب أن يحميه من الخرافات والخروج على العدل ومن السخافات . تلك الأمور التى تطلقها من عقالها المصيبة العظمى . لكل شخص مهمته ، فكما أن على الجيوش أن تحافظ على أرض الوطن ، كذلك على رجال الفكر الدفاع عن الفكر ؛ فاذا سخروه لخدمة شهوات شعبهم ، فقد يستطيعون أن يكونوا آلات نافعة ، ولكنهم يخاطرون بخيانة العقل الذى ليس هو أقل جزء من تراث هذا الشعب) ثم يقول فى النهاية : (لقد ظللت عاماً بأكمله غنياً بالأعداء ، والآن أقول لهم : إنهم يستطيعون أن يحقدوا

(١) Au-dessus de la mêlée P. 6 et 7

(٢) Au-dessus de la mêlée P. 29

علىّ ، ولكنهم لن يستطيعوا أن يعلموني أن أكون حقوداً .... إن مهمتي أن أقول ما أعتقده عدلاً وإنسانياً)

والواقع أن التهم التي أسندت الى مقالات رومان رولان في (جريدة جنيف) لا أساس لها من الصدق ، إذ خلقتها عداوة بعض الأفراد والجرائد من جهة ، ومن جهة أخرى الرقابة على المطبوعات إبان الحرب التي كانت حين تحذف من مقالاته كثيراً من الفقرات التي ترى فيها تطرفاً لا يجوز نشره ، تترك بذلك المجال لاعدائه لتأويل الجزء الضئيل الباقي تأويلاً سيئاً

وعلى كل حال فقد كان هذا الصراع الهائل بين رجل وأمة داعياً لأن تتسع شهرة رومان رولان بعد الحرب ، وخصوصاً وقد حصل عام ١٩١٦ على جائزة نوبل للآداب[1] ، وكانت شهرته خارج فرنسا أوسع من داخل فرنسا نفسها ؛ وقد توبلت كتبه التي ظهرت بعد الحرب بشغف زائد وإقبال عظيم ، فطبعت عشرات الطبعات ومن هذه الكتب :

Aux Peuples Assassinés (١٩١٧) — Colas Breugnon الذي طبع عام ١٩١٤ ولم ينشر إلا عام ١٩١٩ — Clérambault, histoire d'une conscience libre pendant la guerre (١٩٢٠) — Le Jeu de l'amour — (١٩٢٤) Les Précurseurs L'Ame Anchantée (١٩٢٥) et de la Mort (١٩٢٦-١٩٢٧) و Mahatma Ghandi (١٩٢٦) Essais sur la mistique de l'inde vivante (١٩٣٠) — (١٩٢٨) Les Léonides

ولا يزال رومان رولان يعيش في سويسرا متخذاً اياها وطناً ثانياً له ، محافظاً كل المحافظة على تفكيره وآرائه التي أثارت عليه الحملات غير عابئ بها ، مؤمناً بذلك الاحساس الذي دفعه الى أن يقول أثناء الحرب رداً على متهميه في إحدى مقالاته Lettre à ceux qui m'accusent إن (الوقت الذي يخصصه للرد على خصم ما إنما يعتبر كسرقة من أولئك التعساء ، أولئك السجناء . من تلك الأسر التي تسعى ونحن في جنيف أن نمد لها أيدينا)

ويرى الناقد رينيه لالو[1] أن هذه الصلابة الشديدة التي نجدها عند رومان رولان في التمسك برأيه والاحتفاظ بنقاء ضميره كرجل أخلاق قد آذته إلى حدما ـ كفنان ، إذ أفقدت قصصه كثيراً من الليونة والطراءة . على أن هذا الاخلاص لعقيدته بين عواصف الافتراء الكاذب ، وذلك الاحتمال الباسم للاضطهاد الذي بعثته النفوس الصغيرة ، وتلك السعادة في العذاب التي انعكست عليه من أبطاله بيتهوفن وتولستوي وغاندي ، قد جعلت جميعاً منه أحد أعاظم قادة الفكر الأوربي الحديث الذين في أعناقهم ـ هم وسائر مفكري العالم ـ يقف مصير المجتمع الانساني

علي فاضل

(١) René Lalou : Histoire de la littérature francaise contemporaine P. 347.

(١) في عام ١٩١٣ كان قد حصل على جائزة الأدب الكبرى الفرنسية

الوطنية الحقة

تفضيل الباخرة النيل على سواها

بعد أن أعدتها لخدمتكم

شركة مصر للملاحة البحرية

بأحدث وسائل الترف والرفاهية

رحلات منتظمة يوم الخميس كل أسبوعين

ابتداء من يوم الخميس ٢٣ مايو سنة ١٩٣٥

احجزوا تذاكركم من الآن من

فرع الشركة بالاسكندرية: ١٤ شارع فؤاد الأول تليفون ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧

شركة مصر للسياحة | القاهرة ـ شارع ابراهيم باشا تليفون ٤٦٣٠٣ و ٤٥٩٦٠
الاسكندرية ـ ١٠ شارع فؤاد الأول تليفون ٥٦١٧
بور سعيد ـ شارع السلطان حسين تليفون ٤٧٧

ومحلات كوك — والأمريكان اكسبرس — وشركات عربات النوم وجميع مكاتب السياحة الأخرى